يُشبه القاهرة

منَّة أبو زَهرة

شعر

منّة أبو زَهرة

يُشبه القاهرة

شعر

facebook.com/alkarmabooks

twitter.com/alkarmabooks

instagram.com/alkarmabooks

الطبعة الأولى ٢٠٢١

حقوق النشر © دار الكرمة ٢٠٢١

© مِنَّة أبو زَهرة ٢٠٢١

الحقوق الفكرية للمؤلفة محفوظة

تتمسك الكرمة بحقوق الملكية الفكرية، فاحترام الملكية الفكرية يدعم الإبداع ويعزز الإنتاج الثقافي.

نشكركم لشرائكم نسخة أصلية من هذا الكتاب، ولامتناعكم عن استخدام أو إعادة طباعة أي جزء منه بأي طريقة من دون الحصول على موافقة خطية من الناشر، لأنكم بذلك تدعمون المؤلفين وتسمحون للكرمة بالاستمرار في نشر الكتب التي تعجبكم.

مِنَّة أبو زَهرة

يُشبه القاهرة: شعر / مِنَّة أبو زَهرة - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢١.

٩٦ ص؛ ٢٠ سم.

تدمك: 9789776743588

١- الشعر المصري.

أ- العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٠٠١٤ / ٢٠٢١

تصميم الغلاف: كريم آدم

أنا حَرفُ الواو

القصيدة

عُملةٌ تُعطِيها لمن تَوَدُّ شراءَ صَوتِه

مُوسيقى لتربح قَلبًا

سِلاحٌ في وَجهِ أعدائك

قُبلةٌ على جَبينِ أُنثاك

القصيدة

حُبُّك الذي لم تَعِشهُ

العالَمُ الذي تَوَدُّ

الإلهُ الذي لم تَرَه

القصيدة

تَشقُّقاتُ وَجهِك

سَوادٌ أسفلَ عَينيك

آلامُكَ التي لا يَعرِفُها سِواك

صَوتُكَ.. فِكرَتُكَ.. وجَعُكَ الأخرس

القصيدةُ.. هي أنت

حين تَصطَفيكَ اللغةُ «واوًا»

يَتقافزُ بين الدَّاءِ والدَّواء

سَرَقوا مِنّي بيتهوفن

لا أُحِبُّ الأشياءَ الشائعةَ

التي يُحِبُّها الجميع

أبحثُ دائمًا عن تلك المهجورة

التي لا يَعرِفُها أحَدٌ

وأنتمي إليها

أنتمي للمزهودِ فيه

للذي يَسترخي غَير مُنتظِرٍ يدًا تمتدُّ إليه

أُحِبُّ الأشياءَ الوحيدة

أنتمي للوحيدِين:

أنواع الزُّهور النادرة

الأفلام غَير المشهورة

الأشخاص الذين لا يعرفهم أحَد

الكتب التي لم تدخل قائمةَ الأكثر مَبِيعًا

الموسيقى الكلاسيك التي هَجَرَها الجميع

لكن ماذا أفعل الآن

وقد أصبَحَتِ السيمفونية التاسعة لبيتهوفن

موسيقى مُفضَّلةً للجميع؟!

هذه لَيلَتي

تلك الليلة

ماذا لو لم أكُن جافَّةً

لو لم أُعامِلكَ بِقَسوة

أتَقبَّلُ فُضولَك

وأُعطيكَ فُرصةً لتقولَ ما عِندَكَ

ألَّا أكونَ عنيدةً

وألَّا تكونَ قادمًا لِتَحَدٍّ ما

كان بإمكاننا أن نمشي كثيرًا

حتى نَخلعَ أحذيَتَنا ونَتخلَّصَ منها

دُون حرج

أن نَغرَقَ في مقطوعةِ «الفصول» لشوبان

ونحن نشرب النبيذ الأحمر

أن تَحكيَ لي عن مُغامراتك النِّسائية

وأُجيبكَ بهَمهَماتٍ لا تنتهي

تُخبِرُني بإنجازاتِكَ

وأروي لك خيباتي

تُغازِلُني في الكأس الثانية فأصمُت

لأنني دائمًا ليس لديَّ ما أقول

تتحدَّثُ عن الوجودية

وأقول لك إنني لا أطمَحُ

أن أكون سيمون دي بوفوار

لَعلَّكَ تَقتنِعُ بِعَدَميَّتي

نتشاركُ حديثًا طويلًا عن الشِّعر

«أُنسي الحاج، وديع سعادة، رياض الصالح الحسين، عماد أبو صالح...»

أولئك الرجال الذين استوفوا حصَّتَهم من الغموض والشجن

يَأخُذُنا الحديث

إلى كل شيءٍ

دُون أن نطمحَ إلى المزيدِ من أي شيء

ننتهي بِعِناقٍ طويلٍ.. ثُم نذهب!

تَظَلُّ رائحتُكَ مُتغَلغِلةً في ملابسي

أحتَفِظُ بها بجانبي

حتى أشُمَّها مَرَّةً أخرى صَباحَ غَدٍ

دُون اختلاطها برائحة النبيذ

تلك الليلة

لو لم أكُن جافَّةً

لو لم أُعامِلكَ بِقَسوة

كنتُ لِأَصدُق مَرَّةً واحدةً وأنا أُدَندِنُ: «هذه لَيلَتي»

حَدائقُ للمَوت

أخبَرَني أنه يُحِبُّني

طَلَبَ مِنِّي الذَّهابَ مَعَهُ

إلى حَديقَتِه

قَطَفَ لي ثلاثَ ورداتٍ

وَضَعَ واحدةً يَسارَ شَعري

وواحدةً خَلفَ أُذُني

والأخيرةَ بين أصابعي

وأخبَرَني أنه يَقطِفُ كلَّ يومٍ وردةً

إنهُ مَحظوظٌ أنَّ لَدَيهِ كُلَّ هذه الحَديقة

ورغم ما يَجنيهِ منها

ما يَجنيهِ عليها

لَمْ تَمُت

وما زال الورد يملأُها

يُحِبُّ أن يُميتَ كل يَومٍ وردةً

قَلبُهُ يَنبضُ وهي تموت

كانت تلك هي العادةُ التي تُسعِدُه

ظَلَّ يَفعلُ هذا مع حَديقَتِه

ومعي!

كُل يَومٍ يَخنُقُ شَيئًا داخلي

وفي اليوم التالي

تَملأُه النَّشوةُ بأنني ما زِلتُ إلى جانِبِه

يَفعلُ ذلك بِشكلٍ يَوميٍّ

إلى أن ذَبُلْت!

ذَهبتُ إلى حَديقَتِه

لم أترُك وَردةً على غُصنِها

وَضعتُ الورودَ في إناءٍ دُون ماء

كَتبتُ له في وَرقةٍ بَيضاء:

أصَرَّت كُلُّ ورودِكَ على مرافقتي.. إلى العَدَم

هَزائمُنا العَظيمة

المَعارِكُ تَصنَعُ مِنكَ مُحارِبًا

ولكن

عندما تَنتَهي الحَربُ

تَكونُ قد قُتِلتَ في ساحة المعركة

والذي يَعودُ ـ على الأغلب ـ لَيسَ أنت

بل مُقاتلٌ

كان على وَشكِ الانهيار

لكنه قَرَّرَ أن يُنهِيَ ما بَدَأَه

المَعارِكُ تَصنعُ مِنكَ مُحارِبًا مُنتصرًا هزيلًا

لا يُريدُ شيئًا بَعد أن انتَهَتِ المعركة

لا أحَد يَعودُ مِنَ المعركة

لا المَهزوم.. ولا حتى المُنتصِر!

أدراجٌ مُنتَفِخةٌ بالحَنين

أُريدُ أن أُحَدِّثَكَ

عَنِ الحُريَّة

عَنِ الحُبِّ الذي لم يَترُكني

ولم أترُكْه

عَنِ الآمالِ المُبعثَرةِ في مُنتَصَفِ أجندةٍ قديمةٍ

عَنْ أسماءِ الذين أحبَبتُهُم ولم يُحِبُّوني

والذين أحبُّوني ولم أترُك لهم خارطةَ طَريق

أُريدُ أن أُحَدِّثَكَ عَنِ السَّلام

عَنِ الزَّرع الذي أوَدُّ أن أملأَ به منزلي

عَنِ الموسيقى التي تَختَرِقُ مَشاعري

أكثرَ مِن أيِّ شيءٍ آخر

عن أفيشات أفلامي المُفضَّلة

والمجلات التي أحتَفِظُ بها

لِصُورةٍ أعجَبَتني داخِلَها

أُريدُ أن أُحَدِّثَكَ عن جميع الأفكار التي أكتُبُها

ثُم أضَعُها في أدراجي المُنتَفِخة

أُريدُ أن أُحَدِّثَكَ عن أدراجٍ تَتقَيَّأُ الذكريات!

وعن حياتي الثقيلةِ

التي سَتَخِفُّ كثيرًا.. في وُجودِك

تَعالَ.. أُريدُ أن أُحَدِّثَكَ عن قَلبي

قَلبي.. ذلك الدُّرجُ المُنتَفِخ

في اللَّيل

في اللَّيل

يُصِرُّ كُلُّ شيءٍ على إزعاجِك

سَجائرُكَ التي نَفَدَت

انتهاءُ القصيدة التي تَقرَأ

الحُبُّ الذي تَرَكَك

جَميعُ الذِّكريات السَّيِّئة

التي تَسقُطُ على رأسِك

وكأنها بِنايةٌ كاملةٌ سَقطَت عَليكَ وَحدَك

في اللَّيل

كُلُّ شيءٍ يُضايقُك

أصواتُ العَرَباتِ في الشارع

الطِّفلُ الذي يَبكي في بَيتٍ آخَر

أنفاسُ مَن حَولَك

جَرسُ هاتِفِك

أصواتُ الأجهزة الكهربائية

في اللَّيل

البُكاءُ صَديقُكَ الوَحيد

والوَنَسُ هو نَفْسُك

نَفْسُكَ التي ذَهَبَت

في اللَّيل

كُلُّ الموسيقى تُعزَفُ لك

على أوتارِ جَسَدِك

جَميعُ اللوحاتِ تُجَسِّدُ حالتَك

أمَّا مُؤلِّفو جَميعِ الأفلام

فَيعرِفُونَكَ بالتأكيد

في اللَّيل

العالَمُ صُنِعَ لك

لَكنَّه

وفي ذاتِ الوَقتِ

صِناعةٌ للتآمُرِ عَلَيك!

في اللَّيل

يَحدُثُ كُلُّ شيءٍ لَكَ

وعَليكَ

في آنٍ واحِد

عِناقاتٌ مُؤجَّلة

أُريدُ أكثرَ مِن ذِراعَين

أو أن تَكونا أطولَ مما هما عليه

ربما أستطيعُ عِناقَ مَن أُحِب.. عِناقَهُم جَميعًا

كُلُّ مَن أحبَبتُهُم رَحلوا سَريعًا

دُون عِناقٍ يُحَنِّطُ رائحَتَهم في القَلب!

أصبَحتُ أطلُبُ مِمَّن أوَدُّ رُؤيَتَهم

أن يَحدُثَ ذلك عاجلًا

كأن شَيئًا يَهمِسُ في أُذُني:

«لم يَبقَ مِنَ الوقتِ الكثير

شَبَحٌ أسوَدُ يَدُقُّ الباب»

أراهم سَريعًا وأحتَضِنُهُم كَثيرًا

لِدرجةِ أنني

لم أعُد أخجَل مِن أن أقولَ لأحَدِهم:

«أوَدُّ عِناقَك»

أُعانِقُهُ بِقُوةٍ.. وأستَنشِقُهُ جَيدًا

الرَّوائحُ هي أشَدُّ ما يَرسَخُ مِنَ العِناق

وهي آخرُ ما يَزول

تَروي قُلوبَنا العَطشَى.. بالذين نُحِبُّهم

تُطَمئنُنا أنهم هنا الآن.. بِجانِبنا

حين يَغيبُ الشَّخصُ نَشُمُّ رائحةَ ملابِسِه

كي نَشعُرَ أنه هنا

ما زال في الجوار

التفافُ ذِراعَيكَ حَولَ مَن تُحِب

يُشعِرُكَ بأنك تَملِكُ العالَمَ

يُعيدُ إليكَ رُوحَك التي تَشَظَّت في التَّجارِب

هي هي.. تَعودُ إليكَ في حضنِ أحَدِهم

وكأنها مُرتبطةٌ به

يا إلهي الرحيم

لماذا ذراعايَ أقصَرُ

مِن أن أحظَى بالعِناق الذي أرغَبُ به؟!

قُلوبٌ عَرجاء

عندما مَشَيتُ لأول مَرَّةٍ

ـ في عامي الأول ـ

وَضعتُ يَدي في أكواب الشاي المَغلي

احتَرَقَ صدري

وقَصُّوا منه الكثير

تَحكي أُختي:

كانوا يَقطعون مِنهُ بالمِقَص

كالقُماشِ المُحترِق

حتى أُغشِيَ عَلَيَّ

منذ ذلك الوقت

وأنا أخطو بِجرأةٍ نحو ما أُريد

حتى يَحتَرِقَ صدري

الآن لا يَقُصُّ أحَدٌ مني شيئًا

أنا الذي أفعَلُ

بوَعيٍ تام

وقَلبٍ ما زال يُريدُ أن يَتعلَّمَ المشي

جُذوعٌ وجرَّافات

أرغَبُ أن يَنبُتَ في قَلبي جِذعُ شَجرةٍ

مهما قَصُّوا أوراقَهُ

يُزعِجهم بالإنباتِ من جديد

جِذعُ شَجرةٍ راسخٌ وعميقٌ

يَختبئُ مِن جرَّافاتٍ تَزحَفُ في عُيونِهم

آهٍ يا جِذعي الحَبيب

حتى لو حَدَثَت كُلُّ الأشياءِ السَّيِّئة

سيَظَلُّ قَلبي أخضرَ

رَماد

وأخيرًا

بَعد أن كُنتُ أراهُ

الرَّجلَ الأجملَ في العالم

رأيتُهُ اليومَ بصُورَتِهِ الحقيقية:

رَجلٌ يَقتَرِبُ من الصَّلَع

صاحبُ هيئةٍ سيِّئةٍ

بَدِين

غَيرُ جاذبٍ لسيدةٍ عَجوز

وبَعد أن دَقَّ قَلبي بسُرعةٍ جُنونيَّةٍ

لعدة دقائق

تَوقَّفَ ورَجَعَ إلى طبيعَتِه

وأدرَكتُ أنَّ

الصَّفحةَ التي كُتِبَ فيها الكثيرُ من

الذِّكرياتِ والآلام

قد تَمزَّقَت تمامًا

نَجَوتُ باختيارِ العَمى

أوَدُّ أن ترى عيناي كُلَّ ما هو غَيرُ مَرئي

أن أتمتَّعَ ببَصيرةٍ خاصَّةٍ استثنائيَّةٍ

أن أعرِفَ ما يَدورُ

داخِلَ كُلِّ شَخصٍ يُحَدِّثُني عن الأشياء:

متى يَكذِبُ؟

وماذا يُخفي؟

وكيف يَتجَمَّل؟!

أن أستَقبِلَ بأذُني كلامًا

أُجيبُ عَليهِ بإجاباتٍ مُعاكسةٍ

لأنني أرى بعيني حقيقةَ ما وراء الحروف التي أسمَعُها

ولَكن.. وماذا بَعد البَصيرةِ المُطلَقة؟!

سأتوقَّفُ عن الحياة!

لأن الأشياءَ الخَفيَّة

أغلَب الوَقتِ في صالح الإنسان

حَربُ النَّقائضِ المُشتعِلة في النَّفس البَشرية

تَعوقُ نُمُوَّ وَردةٍ

وتُسَمِّمُ وَجباتِ المعنى.. معنى الحياة

سِباقاتُ الوَهم

أشعُرُ أنني أجري منذ أوَّلِ نَفَسٍ لي في الحياة

أجري حتى لا يَفوتني شيء

حتى أسبِقَ كُلَّ مَن يَجرون معي

الآن أدركتُ أنه لم يَكُن ثمَّة سِباق من الأساس

ولا أعلمُ لماذا كُنتُ أجري طَوال الوقت

حتى أصبَحتُ لا أستطيع التنفُّس

إنني لا أفعَلُ أيَّ شيءٍ سوى تَعاقُبِ الشهيق والزفير

الآن أرى كُلَّ شيءٍ يَتَفَلَّتُ مِني

يَسقطُ على الأرض أمامي

ولا أستطيعُ أن أفعَلَ أيَّ شيء

لا أستطيع حتى اللحاقَ به

لإرهاقي من السِّباقات التي لم يكن لها وجود!

ذِئبٌ اسمُهُ الكِتمان

بَعد خَيباتِ آمالٍ مُتكررةٍ

وأشياء لم تَبدأ حتى تنتهي

أصبحتُ الآن لا أخجَلُ أبدًا

لم تَعُد لَديَّ مُشكلةٌ في إفشاءِ مشاعري دُون تَردُّد

كـ«صباح الخير.. أحبُّك»

لا أخافُ مِن ردَّةِ الفِعل

أخافُ الكِتمان

الكِتمان الذي يأكل دائمًا في مشاعرنا

حتى تُصبِحَ مُهمَّشةً تمامًا

تَذوبُ كالخَيطِ المَنقوع في مِياهٍ باردةٍ

دُون أن تَقطَعَهُ بأسنانك

بَعد الخِذلان

يُصبِحُ الإنسانُ بَسيطًا تمامًا

لا يُريدُ شَيئًا

سوى أن يقول كُلَّ شيءٍ يَشعُرُ به

دُون التفكير في العواقب

لأنه يَعلمُ أن جَميعَ ما سيَحدُث

لن يكون أكثر إيلامًا مِن الذي حَدَث بالفِعل

في مَديح التَّجاوُز

أُحِبُّ الأشخاصَ الذين

في كُلِّ مَرَّةٍ يقَعون فيها في الحُب

يَتلاشون فيه تمامًا وكأنه الحُبُّ الأول

في كُلِّ مَرَّةٍ يُقنِعُونَ أنفُسَهُم

أنَّ هذه هي المَرَّةُ الحقيقيةُ الوحيدةُ

وأنَّ كُلَّ التَّجاربِ السابقةِ خاسرة

يَتركون لمشاعرهم الحُريةَ

لتَتحدثَ وتَتحركَ وتَشتهي

دُون قُيود

أُحِبُّ الذين يَستمتعون

بأول فِنجان قَهوةٍ في الصباح

وكأنهم لأول مَرَّةٍ يَتذوَّقون البُن

يأكلون «التنوة» ولم يَترُكوا في الفِنجان

سوى آثار أصابعهم التي تَترُكُهُ فارغًا تمامًا

أُحِبُّ الذين يَخرُجون من صالة السينما

في حالةٍ من الصَّمت والبَهجة

وكأنهم يُحاولون تَجميدَ الأبطال بداخلهم

لمُدةٍ تَقتربُ مِنَ الساعتين بَعد انتهاء الفيلم

والذين في كُلِّ مَرَّةٍ يَقرأون كتابًا يُعجِبُهم

يقولون إنه أجملُ ما قرأوا

أُحِبُّ الأشخاصَ الذين يُجيدونَ التَّجَدُّدَ

ويُجيدونَ الاستمراريةَ في الاستمتاع

الذين يَستطيعون أن يُحَدِّثوك في كُلِّ مَرَّةٍ

عن كُلِّ شيءٍ يُحِبونَهُ بِنَفْسِ النَّهَم

وكأنهم لم يَتحدَّثوا عنه من قَبل

إجهاد

لماذا كُلُّ مَن بَذلتُ مَعهم مَجهودًا

لم يُحاولوا أن يَبذلوا مَعي أيَّ شيء؟!

لماذا كُلُّ طَريقٍ أُريدُ المَشيَ فِيه

ـ وبَعد أن يُنهِكَني المَشيُ تمامًا ـ

في آخِرِهِ أكتَشِفُ السَّد؟!

لماذا لا تُوجَدُ لافتاتٌ تقول:

«الطريقُ مَسدود.. أوقِفوا التداعي»؟!

إلى متى ستَنفَدُ طاقَتي في الطُّرُقِ المُغلَقة؟!

لماذا لا يَلتَئمُ أبدًا الجُرحُ الذي في يدي

وكُلَّما وَضعتُ عليه أصابعي ينزف؟!

لماذا لم يُغادرني الأمل

رغم أنني أُدرِكُ تمامًا

أنَّ جَميعَ الطُّرُق

التي سَأخطو نَحوها

ستَظَلُّ مُغلقة؟!

وَددتُ لو أفقِدُ الأملَ في المحاولة

لو أرجِعُ ثانيةً للمُهَدِّئ

ـ قال ليَ الطبيبُ إنه مُهِمٌّ لجِهازيَ العصبي ـ

وَددتُ لو أرجع لذلك الوقت

أرى كُلَّ شيءٍ مِن وراء الزُّجاج

وكأنه لا يحدُثُ لي

ولا أتفاعَلُ مَعَه

التفاعُل نَفسهُ يَحتاج مَجهودًا

ليس بِوُسعي أن أبذُلَه

لأنني أصبحتُ لا أملِكُ سوى أن أظَلَّ مُجهَدة!

كَيف ـ كَم

كَيف يقولُ المرءُ إنه يُحِبُّ

دُون أن يَفتَحَ شَفَتَيه؟!

كَيف يُعانِقُ دُون أن يُحَرِّكَ ذراعَيه؟!

القضيةُ كَم مَرَّةً اعتَرَفتَ بِحُبِّكَ

وعانَقتَ بكُلِّ جَسَدِك

أم كَيف عَبَّرتَ عنهُ دُون أن تقولَ حرفًا واحدًا؟!

الـ«كَيف» مولودُ الفلسفة

والـ«كَم» مولودُ الرياضيَّات

رَسَبتُ مراتٍ عديدةً في الرياضيَّات

لأنني كنت أسألُ دومًا: «كَيف يكون الكَم قَبل الكَيف؟»

وكأن الكَيف هو الإثم ـ الإثم الذي يتخَفَّى مِنهُ جميع الناس

لأنهم لا يعرِفونَ أكثرَ من الأرقام التي لا تَسألُ كَيف

ولا تَطلُبُ تَفسيراتٍ للنواتج

نِهاياتٌ مُؤجَّلة

في أغلب الأوقات

تَنتهي الأشياء

قَبل أن تبدأ

تَنتهي مع رَغبتِك فيها

مَوعِد

أوَدُّ أن أُخبِرَكَ أنَّ حديثًا لا يَجمَعُنا

كُلُّ الكلام يَنتهي عندما أنظُرُ إليك

وكأنني لا أرغبُ سوى في ذلك

أن أُلقيَ بَعض النظرات خِلسةً

لا أعرِفُ حتى كَيف أبتَسِمُ لك!

وكأنني لم أضحَك من قَبل

والحَقيقة أنني لا أرتَكِبُ في حياتي أكثر من الضَّحِك

أشعُرُ أننا التقينا مئات المرَّات

وجَمَعَتنا آلافُ الأحاديث

لا أرغَبُ إلا في جلسةٍ

لا يَجمَعُنا فيها سوى الصمت

أن أنظُرَ إليك بعُمقٍ

دُون أن أُديرَ وجهي

ثُم أهمِس: «إنني أفتَقِدُ شيئًا فيك لا أعلَمُه»

أن أحتَضِنَكَ لنِصفِ ساعةٍ على الأقل

ثُم أذهَب إلى الأبد

بيوتٌ حالِمة وأقدامٌ غَليظة

كُنتُ طفلةً

وكُنتُ أذهبُ مع أبي

كُل عامٍ إلى رأس البر

كان الأطفالُ يَبنونَ بيوتًا

من الرَّمل

وكُنتُ أصنعُ حُفرةً

حُفرةً عميقةً

أملأُها بمياه البحر

حتى أصنعَ بحرًا صغيرًا لي

في كُلِّ مَرَّةٍ كُنتُ أرى

الموجَ يأخذُ بيوتَ الرَّمل

وأرى خيبةَ آمالهم إذ يَسرقُ الموجُ بيوتَهم

كُنتُ أغضَبُ

وكُنتُ أغضَبُ أكثر حينما يَمُرُّ

أطفالٌ أكثر شراسةً أو أكبر عُمرًا

مِنَ الحالمين الذين يَبنون بيوتًا على البحر

ليهدِموها بأرجُلِهِم

قَبل أن تَكتَمِلَ البيوتُ الجميلةُ

.

المصنوعةُ من الأحلام الورديَّة

كُل يَومٍ كُنتُ أذهَبُ

لأحفرَ بَحْري الصغير

حتى لا تأخذهُ الأمواج

ولا تَهدِمهُ الأرجُلُ القاسية

التي لا تَعرِفُ قيمةَ البيوت

صَرخةٌ أخيرة

أُريدُ أن أصرخ صَرخةً كبيرةً

قَبل أن أقفِز

أُريدُ أن أُزعِجَ بها الجميع

حتى يَتفهَّموا أنني

كُنتُ قادرةً على الإزعاج

لكنَّني أردتُ لهم السُّكون!

أُريدُ أن أُنهيَ حياتي بصَرخةٍ

تَكونُ مِثلَ السِّكِّين

في قُلوبِ كُلِّ مَن وقفوا.. في وَجهِ الحياة

سُلالة الألَم

لا شيء مُنصِفٌ

ستُرهقُنا الحياةُ دائمًا

وكُلُّ مَن لا تُرهِقُهُم الحياةُ

ستُنصِفُهم

العَبَثُ سَيِّدُ العالَم

وسَيِّدُ آلامِنا الأمَل

لأننا لا نَملِكُ غَيرَهُ

مُداراة

أكرَهُ حُزني

عندما يَظهَرُ

ـ وأنا أضحَكُ ـ

دُون داعٍ

كَيف تُعِدُّ عاشِقًا

في كُلِّ مَرَّةٍ أدخلُ فيها مَكانًا ما

أشعُرُ أنَّ عليَّ أن أُنَظِّفَهُ تمامًا

أُرَتِّبَهُ ليُصبِحَ جميلًا

أن يُصبِحَ خاليًا من الرَّماد والفوضى

أن يُصبِحَ بَعد خُروجي منه

مُختلفًا عنهُ قَبل دُخولي إليه

أن يُصبِحَ جميلًا للذي يأتي بَعدي

وأن يُحِبَّ الآخرون الأشياءَ التي دخَلتُها قَبلَهُم

أن يُحِبُّوا مَجيئي ويُحِبُّوا ذَهابي

ويُحِبُّوا الأماكنَ التي أذهَبُ إليها

ألَّا يَشعُروا أنَّ وجودي كان فَوضويًّا، غَيرَ مُريح

أُرَتِّبُ جَميعَ الأشياء بكُلِّ حُبٍّ

حتى إنني اكتَشَفتُ في علاقاتي العاطفية

أنني أُرَتِّبُ هذا الشخص

أُهَيِّئُهُ بِشكلٍ كَبيرٍ

لأن يَكون شَريكًا رائعًا

لتلك التي ستأتي بَعدي!

حُب؟!

لم أُعطِ أحَدًا ـ قَطُّ ـ حُبًّا كاذبًا

ولم أنتَظِر كلمةَ «أُحِبُّك»

لم أرغب في سَماعِها

سوى مِن شَخصٍ أُعطيه حُبًّا حقيقيًّا

ولم أوَد أن أسمَعَها بسبب مَنحِي له ذلك الحب

أتذكَّر جيدًا أنني لم أقُل تلك الكلمة منذ أن أصبَحتُ أُحِب

وأنني أيضًا لم أطلُب أن أسمَعَها قَطُّ

حتى إنني لم أقُل لأحَدٍ إنني أفتَقِدُه

إلا إذا تَيقَّنتُ مِن فُقداني جيدًا

وتأكَّدتُ من أنني أوَدُّ الذَّهابَ إليه

ـ في نفس اللحظة ـ

حتى إن كُنتُ سأُشَارِكُهُ أفعالَهُ التافهةَ بالنسبة لي

على الرغم من يقيني التَّام

بهشاشتي الداخلية

على عَكس مَظهري القاسي أحيانًا

إلا إنَّ كُلَّ ما أشعُرُ به لا أخجَلُ منه أبدًا

مَشاعِري

أنا المسؤولةُ الوحيدةُ عنها

والآخَرُ غَيرُ مُطالَبٍ بأي شيء

أستَمتع بها وحدي

لا أحَد يُعطيني مُقابلًا لها

وأنا لا أضَعُها في جلبابه

جَسَدان

داخِلَ جَسدِك الظاهر جَسدٌ آخَرُ مُنير

غَيرُ مَرئي

يَستطيعُ أن يُدهِشَك مِن شِدَّةِ إضاءتِه

كُلَّما مَرَّ يَومٌ وشَهرٌ وسَنةٌ

انطفَأَ شيئًا فَشيئًا

ـ مع كل زلزالٍ وعاصِفةٍ ـ

انطفاءً يَحمِلُ الكثير

حتى يُصبِحَ جِسمًا مُعتِمًا

في بعض الأوقات

تَكونُ إنارَتُهُ الخارجيةُ شديدةً

كالقَمر تمامًا

حتى وإن تلاشَت الإضاءةُ التي بداخِلِه

لِيَقومَ بِفعل جَميع الأشياء

لكن لَيست كما كانت

يَأكُلُ ويَشرَبُ

ويُقنِعُ نَفْسَهُ أنَّ السَّجائر صَديقٌ ظَريفٌ

وأنه سوف يَموتُ على كُلِّ حالٍ

ولا يُهِمُّ أبدًا متى سيكون ذلك

يُقنِعُ نَفْسَهُ أنَّ المشروبات الروحية لا تُدَمِّرُ الكَبِد

وأنَّ ما يُدَمِّرُهُ الوجبات المَقليَّة من الأماكن الرَّديئة

وأنَّ جَميع العلاقات ما هي إلا إشباعُ غَرائز

يُنكِرُ تمامًا وَقْعَ أوَّلِ قُبلةٍ

مِن أوَّلِ فتاةٍ أحبَّها

لا يُكمِلُ كِتابًا يَقرَأُه

ويُغلِقُ جَميعَ المَقطوعاتِ الموسيقيَّة

قَبل انتهائها بدَقيقَتَين

يَظَلُّ مُتنقلًا بين الأفلام التي يُحِبُّها ويَوَدُّ مشاهدتها

ومع ذلك.. لا يُشاهِدُ فيلمًا واحدًا

يَتعرَّفُ على جميع الناس

ولا يَوَدُّ الإبقاءَ عليهم

كُلُّ الأشياءِ تُصبِحُ باهتةً

حتى المَوتُ الحَقيقيُّ للجَسَدِ الكبير

انتِظار

كُلُّ ما هو بَعيدٌ مُذهِلٌ

إذا اقتَرَبَ انتَهَت رَوعَتُه

أنتَظِرُكَ

وأنا أعرِفُ أنكَ لن تأتيَ أبدًا

دائمًا أفعَلُ نَفْسَ الشيء

أتجاهَلُ كُلَّ ما هو مُتاحٌ أمامي

أذهَبُ لكل الأشياء المستحيلة

التي أعرِفُ جيدًا أنها لن تأتي

يُسعِدُني انتظارُها

وأنا أعرِفُ عَدَمَ قُدومِها

كأنني أُدَرِّبُ نَفْسي

على أن تَسعَدَ بالأشياء البعيدة

لأنني أعرِفُ أنها لو أتَت

ستَنتهي سَعادتي بها

بَصيرة

أرغبُ في الحديث الآن

عن أشياء كثيرة

يُهيَّأ لي أنني أوَدُّ قولَها

أوَّلُها أنَّ على المَرء

أن يُدرِكَ أنَّ خيباته لن تَطول

في وقتٍ ما سيَنتهي بعضُها

ويبقى الآخر.. ليخبرنا بصراحةٍ

أنَّ الحياةَ هكذا

وأنَّ علينا التَّصالحَ مع ذلك

وأن نَتقبَّلَهُ ونَعِيَهُ بهدوء

أنَّ الوعي ليس لَعنةً

وإنما إدراكنا أننا هنا الآن

علينا أن نُدرِكَ كُلَّ شيءٍ كما هو

بكُلِّ ما بِهِ وداخِله وخارِجه وما يُحيطُه

أنَّ علينا اختطافَ بعض اللحظات

التي نَتذكَّرُها في زَمنِ الخَيبات

حتى نَستطيع مواصلة السَّير

أنَّ الوعيَ هو البَصيرة الحادَّة

التي ترى كُلَّ شيءٍ

البَصيرة

ليست التي تَجعلُك تَقَعُ في حُبِّ أشخاصٍ

لا تَعلمُ عنهم سوى نَظراتهم

ورائحةِ عِطرهم

بل البَصيرة التي تَجعلُك تُوقِنُ أنهم في وقتٍ ما

سَيَقعون في حُبِّك أيضًا

فِصام

أشعُرُ الآنَ

أنني لا شيء

قَلبي ـ الراسخ في الحُزن ـ

مُعلَّقٌ في الهواء

جميعُ الأشياء تُرهِقُني

أشعرُ بكُلِّ شيءٍ

أراهُ جيدًا بوضوح

لكني لا أستطيعُ التركيزَ في أي شيءٍ على الإطلاق

كُلُّ الأشياءِ تُضايقُني

ومع ذلك أضحَكُ بشِدَّة

يُشبه القاهرة

كان يُشبِهُ كُلَّ شيءٍ مُزعجٍ

حُطامَ المباني

أصواتَ السيارات

اللونَ الرَّمادي

دُخانَ المَصانع

كان يُشبه القاهرة

بِعَتمَتِه

ورَماديَّتِه

وعينيه اللتين لا ترى فيهما أي شيءٍ

سوى القسوة الهاطلة

ومع ذلك لا تستطيع

المغادرة!

لِقاءٌ مَجهول

لم أتحدَّث إليكَ مَرَّةً واحدةً

لكنني أشعر أننا تَحدَّثنا مرَّات

تَعارَكنا

وتَعانَقنا

في أول مَرَّةٍ سأتحدَّثُ فيها إليك

سأقول مُباشَرةً: «أُحِبُّك»

تَمارين الخَيبة

هذا الوَقتُ الذي لا يَمُرُّ

والذي تعتَقِدُ أنه أسوأُ ما مَرَّ عليكَ منذ وُلِدْت

سيَمُرُّ بَعد بِضعِ ساعاتٍ

بِضعةِ أيامٍ

ستَلهو وتُحاوِلُ مَعرفةَ نَفْسِك

ستُؤمِنُ بِعَبثِيَّةِ العالَم

ستُمَرِّنُ نَفْسَكَ على الآلام المتتالية

وخَيباتِ الآمال المتكررة

ستَعرِفُ كَيف تَتعايَشُ مع حُزنِك

دُون أن تُخفيَ ضحكاتِك

ستَرتَفِعُ أصواتُها أكثر

وستُسقِطُ نَفْسَكَ في غُرفَتِك المُظلِمة

لِتَبكيَ لَيلًا دُون أن يَشعُرَ بِك أحَد

لِتَستَيقظ في اليوم التالي

وكأن شيئًا لم يكُن

لأن هذا هو العالَم

لَعنةُ المُنتَصَف

أُنهي جميع الأشياء

بسُرعةٍ بالغةٍ

أفعلُ كُلَّ شيءٍ أُريدُهُ

ولكن في مُنتَصَف الطريق أترُكُه

لأبدأ شيئًا جديدًا

أجهَلُه

ثُم عند الاقتراب من نقطة النجاح

أترُكُه

أفعَلُ ذلك طوال الوَقت مع جميع الأشياء

في البداية أملِكُ طاقةً مُدهِشةً

لا أعرِفُ من أين حصلتُ عليها!

وفي النهاية

وبَعد نَجاحاتٍ خِصبةٍ

أترُكُها

ليس لأنني اكتَشَفتُ أنني لا أُريدُها

بل لأنني أُريدُ أن أفعلَ كُلَّ الأشياء

والآن

وبَعد أن قُمتُ بأشياء كثيرةٍ بالفِعل

هأنا ـ كالعادة ـ في المُنتَصَف

آخُذُ نِصفَ الأشياء

وأترُكُ النِّصفَ الآخر ليُكمِلَهُ غَيري

بَعد أن بَذَلتُ كُلَّ طاقَتي في النِّصفِ الأول

كُن بَعيدًا.. لأُحبَّك

أعيشُ كُلَّ الأشياء بِنَهَمٍ تام

بالنظر إليها من أبعدِ نُقطةٍ

حتى أقتَرِب

كُلَّما اقتَرَبَت نُقطةُ النَّظَر

أدركتُها بعُيونٍ أكثرَ اتِّساعًا

الإدراكُ يُفسِدُ المَحبَّة

يَتلاشى الفُضول

تَرى الحقيقةَ كاملةً

الجَوهَرُ يُوَضِّحُ لك بَصيرتك

لا تَخيُّلات بَعد الآن

كُلَّما كُنتَ بَعيدًا

رَغِبتُ فِيك أكثر

انـهيارٌ مُبَكِّر

لو أملِكُ رَفاهيةَ الانـهيار التَّام

دُون التَّماسُكِ أمام العالم

دُون مقابَلَتِه بضحكةٍ صاخبةٍ

ونِكاتٍ يَضحَكُ منها الجميع

لو أنتَهي تمامًا

وأعتَرِفُ بالخَلاص

وعدم القُدرة على السَّير

لو لم أشعُر بواجِبِ القَولِ: «إنني بخير»

لَتَغيَّرَ الكثير

لكنَّ الانـهيارَ قد بَدَأ منذ وقتٍ طويلٍ

دُون أن أعرِفَ ذلك

وها هيَ نتائجُهُ

هأنا أرى الهزيمةَ الكاملة

لَحَظات

ألهو دائمًا وأنا خائفةٌ من انتهاءِ اللَّهو

وانتهاءِ الوقت

لا أشعُرُ بمُتعةٍ في اللَّهو

إنما التَّرقُّب

أتَرقَّبُ نَفْسي

وأراقِبُ الأحداث

لأنني أعرفُ أنها ستَنتهي

وأنَّ الباقي.. لَحَظات

لَو

لَو

لَو أحتضنُكَ بِشَكلٍ حَقيقيٍّ

لَو تَضعُ رأسَكَ على رِجلي

لَو أُمَلِّسُ بِيدَيَّ على خُصَلِ شَعرِك

لَو أسمعُ مِنكَ كُلَّ ما تَودُّ قَولَهُ

لَو أُخبِرُكَ بأنَّ العالَم

ستَنتهي قَسوتُهُ

يومًا ما.. ونحن معًا

لَو أُصبِّرُكَ بكلامٍ

أنا نَفْسي لا أقتنعُ به

لكنَّ «لَو».. مفتاحُ كل آلام العالَم

لأننا بـ«لَو» نُدرِكُ أننا لسنا معًا

نُدرِكُ أنَّ الحياةَ

لن تكونَ في صَفِّ أحلامنا البسيطة

نِصفُ نَجاة

لم أنجُ مَرَّةً واحدةً

من المرَّات التي تَشبَّثتُ فيها بالحياة

في كُلِّ مَرَّةٍ

تَمنيتُ فيها أن أرى قاربًا بَعيدًا

لم يكن هناك غُصنُ شجرة

القاربُ يَعرفُ الآن أنني لن أراه أبدًا

والأغصان هَجَرَتني

يبدو أنني سأظلُّ دائمًا

في العُمق الذي تَستحيلُ معه النجاة

مُصابون بالمَلل

وَرْدٌ لا يَذبُلُ.. لا يموت

عَصافير لا تَمَلُّ من الزيارة

حَبيبٌ يَظَلُّ حتى آخر اللحظات

صَديقٌ لا يَمَلُّ من حكاياتنا المتكررة

أشياء لا تنتهي

لكن لكُلِّ شيءٍ مُقابِلٌ

ستُقَدِّمُ تَنازلاتٍ طوالَ الوقت

حتى تَحصُلَ على أشياء طويلة المدى

ومع ذلك.. ليسَت أبديَّةً

ستَتنازلُ عن تَمسُّكِك بحياة الوَردة

ستُدرك أنَّ العَصافيرَ مكانها ليس أمام شُبَّاكِك

ستَتَصالَحُ مع فِكرة تَركِكَ لبعض الحُبوب فقط

ستَعرِفُ ألَّا حَبيب هناك

أنَّ الجميعَ مُصابونَ بالمَلل

أنَّ جميعَ الأشياء تنتهي!

جَمالٌ مُهدَر

في طُفولتي

كُنتُ دائمًا ما أُريدُ القَبضَ على الأشياء بِيَدي

أن تُصبحَ معي في أي وقتٍ أُريد

أخافُ من انتهاء الأشياء التي أُحِب

أذهَبُ إلى البَحر

أظلُّ طوالَ الوقتِ أستَنشِقُ أكبرَ قَدْرٍ مِنَ الهواء

أنظُرُ إلى كُلِّ الزهور بتَمَعُّنٍ شديدٍ

أُرَكِّزُ في البَحر بشِدَّة

لا أستَمتِعُ بلَحظاتي هناك

بل أحتَفِظُ بها في ذاكرتي

أُرَكِّزُ بشِدَّة في الأشياء التي أُحِب

ثُم أُغلِقُ عَيني وأُقنِعُ نَفْسي أنَّ عَقلي احتَفَظَ بها

كصُورةٍ فوتوغرافيَّةٍ

ومتى افتقدتُها

فسأُغلِقُ عَيني وأتذكَّرُها بوضوح

وهنا سوف يَنتهي اشتياقي لها بالفِعل

أفعَلُ هذا طَوال الوقت

حتى كَبِرتُ

وظلَّ احتفاظي باللحظات يَغلبُ تَعايُشي معها

الآن أعاتِبُ نَفْسي

لأنني أصبَحتُ

أحتَفِظُ باللحظات لا أعيشُها

أظلُّ خائفةً.. حتى تَنتهي اللحظات

ولا أشعُر بها

لأنني كُنتُ مُنشغلةً

بالاحتفاظ بها في عَقلي

خَوفًا من أنها ستَنتهي قريبًا

أوَدُّ لَو

أوَدُّ لَو تَبتَلِعُني الأرضُ

أو أتحَوَّلُ إلى نَورَسٍ

أوَدُّ لَو أهرُبُ من البشر

جميعُ الحقائقِ مُوجِعةٌ

أشعُرُ أنني أصبَحتُ لا أستطيعُ التنفُّسَ

أنَّ شَخصًا يَضرب رأسي بفأسٍ

وكأنني سَرَقتُ أرضَهُ

وأنَّ شَخصًا آخَرَ يَطعَنُني بسكينٍ في صَدري

وكأنني قَتَلتُ طِفلةً

هذا الشُّعور يَتنامى يومًا بَعد يوم

حتى إنني أصبحتُ راغبةً

بإنهاء كُلِّ هذا

أن أضرِبَ ـ مع هذا الشخص ـ رأسي حتى يَنفَلِقَ تمامًا

وأن أُساعِدَ الآخرَ في إتمامِ عَمليَّة الطَّعنِ تلك

حتى أتحوَّلَ إلى اللاشيء

أو أتناسَخ في حياةٍ أخرى إلى نَورَس

هَزيمةٌ جَديدةٌ للبَحر

لَو أترُكُ هذا السَّرير

وهذه الغُرفة

وهذا الرِّداء الأسود

هذه المدينة بأكمَلِها

لو أذهب إلى مَكانٍ ما

ليس به سوى

بَعضِ الصُّخورِ اللَّينة

التي لا تَجرَحُ قدَمَيَّ

وبَحرٍ لا يُغرِقُ جسَدي

وبَيتٍ من القَشِّ

وزُهورٍ تَمنحُني شعورًا

بأنَّ هناك ما يحيا من أجْلي

وكُلَّما رَوَيتُه.. أزهَر!

رُبما عندما أصِلُ إلى هناك

أوَدُّ الذَّهابَ إلى مَكانٍ آخَرَ

لكن حِينها لا يكونُ أمامي سِوى البحر

أُلقي بنفسي فيه مُنتَصِرةً على خَوفي منه!

عن المؤلفة

منَّة أبو زَهرة درست الفلسفة بكلية الآداب جامعة عين شمس.

نُشرت قصائدها في مجلة «إبداع» ومجلة «أخبار الأدب» ومجلة «الثقافة الجديدة» وعدد من المطبوعات والمواقع الأدبية. وتعمل في مجال النشر.

هذا هو ديوانها الأول.